مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــ المجلد: 11 / العـدد:01 (جانفي 2023) ص 300– 319
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

تأصيل الموقف الشرعي من الأوبئة والأمراض في الإسلام – في ظل جائحة كورونا (كوفيد–19)

Authentication of the Legal Position on Epidemics and Diseases in Islam in the Light of Covid-19 Pandemic

ط. د: مسعودة رقاد
REGGAD Messaouda
جامعة ابن خلدون تيارت(الجزائر) ، messaouda.reggad@univ-tiaret.dz

تاريخ الاستلام: 2022/02/12	تاريخ القبول: 2023/01/05	تاريخ النشر: 2023/01/22

الملخص:

يتناول هذا البحث الموقف الشرعي من الأوبئة والأمراض في الإسلام في ظل جائحة كورونا كوفيد–19، وذلك من خلال التعريف بمفهوم المرض والوباء وجائحة كورونا كوفيد– 19، ومن ثمة بيان الحكم الفقهي من العدوى و الحجر الصحي وحكم التداوي في الشريعة الإسلامية.

كما تطرق إلى الاجراءات الاحترازية، وطرق العلاج المتبعة، وبعض الإرشادات والتوصيات من الطب النبوي لتفادي الإصابة بالأمراض.

الكلمات المفتاحية: الطب النبوي، الوباء، الوقاية، كوفيد–19، العدوى.

Abstract:

This research deals with the legal position on epidemics and diseases in Islam in light of the Corona Covid-19 pandemic, by defining the concept of disease, epidemic and the Corona Covid-19 pandemic, and then clarifying the jurisprudential ruling on infection and quarantine and the rule of medication in Islamic law.

It also touched on the precautionary measures, the methods of treatment used, and some instructions and recommendations from the prophetic medicine to avoid contracting diseases.

Keywords: Prophetic Medicine, Epidemic, Prevention, Covid-19, Contagion.

المؤلف المرسل: مسعودة رقاد ، **الإيميل**: reggadmessaouda@gmail.com

1. مقدمة:

من المعلوم أنّ حفظ النفس وسلامتها هو أحد مقاصد الشريعة الإسلامية، ولذلك أولى الإسلام مسألة صحة الإنسان اهتماما كبيرا، لا يوجد في غيره من الشرائع، والصحة كما هو معلوم من أعظم نعم الله علينا، فكان لزاما على الإنسان المحافظة عليها، لأنها أساس قيام الفرد بواجباته الدينية والدنيوية، وقد تضمن القرآن الكريم والسنة النبوية العديد من التوجيهات والتدابير التي تقي الإنسان العديد من الأمراض والأوبئة، وتمنع انتقال العدوى منه إلى الآخرين، كما نجد في هديه صلى الله عليه وسلم إشارات، وأحاديث عن الأوبئة والأمراض والطواعين؛ إذ يجعل لها تعريفا ويذكر أسبابها، ولا ينسى في الأخير الإجراءات الاحترازية والتدابير الوقائية أثناء وقوعها، كما قام بالدعوى إلى الحجر الصحي، وعزل المرضى حفاظا من على سلامة الأصحاء، وأمر الناس بالتداوي لأن الله ما جعل من داء إلا جعل له الدواء. واستمد البحث أهميته من جائحة كورونا التي يشهدها العالم اليوم، فارتأيت البحث عن تأصيل الموقف الشرعي من الأمراض والأوبئة في الإسلام، ومن الإشكاليات التي تمحورت حولها الدراسة: ما مدى تأصيل الموقف الشرعي للأمراض والأوبئة في الإسلام في ظل جائحة كورونا كوفيد-19 ما المقصود بكل من المرض والوباء وجائحة كورونا كوفيد-19 والطاعون، وما هي العدوى وما هو حكمها؟ وما هو الحجر الصحي في الإسلام؟ ما هو حكم التداوي؟

الدراسات السابقة

يعتبر فيروس كورونا كوفيد -19المستجد التي يشهدها عالمنا منعرجا حاسما في تاريخ البشرية؛ لما خلفه من نتائج سلبية على كل الأصعدة الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسة، والشيء الإيجابي الذي جاء به ناهيك عن التكافل الاجتماعي والقيم الانسانية التي اكتسحت كل موجاته، فقد أسال حبر الكثير من العلماء والكتاب والمؤرخين الذين راحوا يبحثون عن تأصيل الأمراض والأوبئة في كتابات المؤرخين القدامى، الذين جادت قرائحهم في كل زمن من الأزمان في ذكر حيثيات الأمراض والأوبئة التي عاصروها، ولا يخفى علينا أن القرآن الكريم قد حفل بذكر الكثير من أمراض العصر وذكر الأدوية، وجاءت بعده السنة النبوية الشريفة والاعجاز العلمي الذي تحتويه في تفسير وتحليل العديد من الأمراض بما فيها الاوبئة والطواعين، وذكر الأسباب والمسببات وحتى الأعراض وطرق العلاج والوقاية، فمنذ صدر الاسلام ظهرت العديد من المصنفات والكتب والدراسات التي تناولت عن كثب الأمراض والأوبئة والطواعين في الإسلام، وعلى سبيل الذكر لا الحصر نذكر كتاب بذل الماعون في فضل الطاعون للعلامة بن حجر العسقلاني(773-852هـ) الذي يعد أشهر وأقدم الكتب العربية التي وصلت إلينا بخصوص تاريخ الأوبئة والذي انتهى من تأليفه سنة 833هـ، وهناك الكثير من كتب التي تعرضت للطاعون مثل

كتاب الطواعين لعبيد الله بن عبيد المعروف بابن أبي دينار(ت:281ه) وكتاب ما رواه الواعون في أخبار الطاعون لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي(ت911ه)، وقد قام العديد من المؤرخين بجرد ووضع فهرست لكل المصنفات والكتب التي تحدثت إما عن الوباء أو الطاعون أو الأمراض بمختف أصنافها سواء كانت في الشرع أو الطب أو الأدب، و من بينهم الدكتور فؤاد أحمد عطاء الله الذي كتب مقال بعنوان فهرس المؤلفات في الوباء و الطاعون– دراسة ببليوغرافية في مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية المجلد 09 العدد 4 سنة 2020م، ذكر فيها حوالي سبع وسبعون مصنفا وفق التسلسل الزماني منها ما كان في الفقه والشرع ومصنفات أخرى في الطب والمداواة، وأخرى في الأدب، كما كانت هناك دراسات كثيرة حول جائحة كورونا منها مقال صلاح جرّار بعنوان آثار جائحة كورونا على قطاع الثقافة الذي ذكر فيه إيجابيات وسلبيات الفيروس ومن الإيجابيات المؤتمرات و الندوات العلمية حول هذا الفيروس مثل مؤتمر جامعة كلّس بعنوان الوباء في الأدب العربي في الثامن من تموز 2020 وقد ضم مجموعة من البحوث التي تعالج محاور المؤتمر، كما انعقد مؤتمر دولي بعنوان المجاعات والوبئة في الوطن العربي عبر العصور الذي أصدره المركز الديمقراطي العربي –برلين (ألمانيا) بالتعاون مع المركز متعدد التخصصات للبحث في حسن الاداء والتنافسية، جامعة محمد الخامس – المغرب سنة 2021م، تضمن هو الآخر مداخلات قيمة حول الأوبئة والمجاعات وتداعياتها على العالم الإسلامي.

منهج البحث

اتبعت المنهج التحليلي الاستقرائي الذي مع طبيعة الموضوع في تفسير وشرح الأسباب المؤدية إلى حدوث الأوبئة والطواعين مع استقراء الأحاديث النبوية الدالة على الأمراض والأوبئة، ومن ثم الوصول إلى النتائج والأهداف التي بني عليا موضوع الدراسة من خلال وضع استنتاجات حول محاور الموضوع ، وعلى هذا الأساس قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة تضمنت أهم النتائج

خطة البحث:

المبحث الأول: الأمراض والأوبئة: الدلالة والمفهوم

المطلب الأول: مفهوم الأمراض و الأوبئة

1– مفهوم الأمراض

2– مفهوم الأوبئة

المطلب الثاني: مفهوم جائحة كورونا كوفيد –19

المطلب الثالث: أدبيات الطاعون

1.تعريف الطاعون

2.أنواع الطواعين

3-أسباب الطاعون

4- طرق العلاج والاحتراز من الأوبئة والطواعين

المبحث الثاني: التأصيل الشرعي للأمراض والأوبئة

المطلب الأول: العدوى في السنة النبوية

المطلب الثاني: الحجر الصحي في الشريعة الإسلامية

المطلب الثالث: حكم التداوي

المطلب الرابع: الإرشادات والتوصيات النبوية لتفادي العدوى في زمن الأوبئة والطواعين

وختمت البحث بخاتمة تحتوى على أهم النتائج المتوصل إليها وتوصيات تصب في خضم البحث.

المبحث الأول: الأمراض والأوبئة: الدلالة والمفهوم

المطلب الأول: مفهوم الأمراض و الأوبئة

.1.مفهوم الأمراض:

المرض: السَّقم وهو نقيض الصحة، أو هو خروج الجسم عن حالة الاعتدال التي تعني قيام أعضاء البدن بوظائفها المعتادة، مما يعوق الإنسان عن ممارسة أنشطته الجسدية، والعقلية، والنفسية بصورة طبيعية، والمرض في معجم مقاييس اللغة يدل على ما يخرج به الإنسان عن حدِّ الصحة؛ وجمع المريض مَرْضَى وأمرضه: أعلَّه ومرَّضَه: أحسن القيام عليه في مرضه، والنفاق مرض في قوله تعالى{ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} وقال: { فَيَطْمَعَ الَّذي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} (ابن زكرياء، 1979، صفحة 311)

2. مفهوم الأوبئة:

وهي جمع لكلمة وباء، ونجد للوباء لدى العلماء عدة تعريفات منها:

يقول عنه بطرس البستاني هو الوَبَأُ الطاعون، أو كل مرض عام، وجمعه أوبئة، أوْبَاءٌ (البستاني، 1977، صفحة 954)، وقد وَبِئَتْ الأرض تَوْبَأ وَباء، فهي مَوْبُوَءة، إذا كثر مرضها، مَوْبِئَة، استوبأت الأرض وجدتها الاوبِئة (الجوهري، 2009، صفحة 1224).

وفي القاموس الطبي نجد أن الوباء: الوبأ، يُقصد به الطاعون وكل مرض عام، جمعه أوبأُ وأوباء وأوبئة، وهو تغير يعرض لجوهر الهواء فيستحيل إلى الرّداءة ويسري في الأبدان بالاستنشاق كسريان السم، وأما التغيرات الخارجية

عن المجرى الطبيعي التي للهواء فهي إما باستحالة في جوهره، وإما لاستحالة في كيفيته (الصحاري، 2015، صفحة 485)، وعن الذي لا استحالة في جوهره فهو أكثر رداءة وهو الوباء ويحدث جراء تعفن يَعرُض في الهواء يشبه تعفن ماء المستنقع.

والوبأ والوباء: الطاعون، وجمعه أوْبَأ وأوباء وأوبئة، وهو تَغَيُّر يعرِض لجوهر الهواء فيستحيل إلى الرّداءة، ويسير في الأبدان بالاستنشاق كسيران السُّم (الصحاري، 2015، صفحة 485). وأرض وَبِئَةٌ على فَعِلة وقد وَبِئَت، وموبوءةٌ قد وُبِئَتْ (ابن زكرياء، 1979، صفحة 73).

ويعبر ابن خلدون عن المرض المفاجئ، ويجعل له مصطلحا أكثر شمولية فيقول الموتان، وقد استخدم هذا اللفظ للتعبير عن الوباء الذي هو مرض يحدث بصورة سريعة نتاج فساد في الهواء، والموتان: الوباء الذي يعم الحيوان، فإذا كان الفساد قويا وقع المرض (خلدون، 2001، صفحة 376).

والأمراض الوبائية هي في الأصل أمراض معدية تصيب أعداد كبيرة من البشر، وليست كل الأمراض المعدية، وبائية ومن العوامل التي تؤدي إلى انتشار هذه الأمراض، العوائل الناقلة كالحشرات والفئران، أو بالاتصال المباشر مثل الأمراض الجلدية كالجرب أو عن طريق الهواء في حالة إصابة الجهاز التنفسي، حيث تتم العدوى عن طريق الرذاذ المتطاير، وأيضا عن طريق الجهاز الهضمي بتناول الطعام، والشراب الملوث مثل الكوليرا (واتس، 2010، صفحة 8) .

وعلم الطب علم يعرف بأحوال بدن الإنسان من صحة ومرض ومزاج وأخلاط وغيرها، مع أسبابها من المأكل وغيرها، وعرفه ابن الاكفاني بأنه علم يبحث فيه عن بدن الإنسان (الانصاري، 1900، صفحة 8) من جهة ما يصح ويمرض، لالتماس الصحة وإزالة المرض (سينا، 1383، صفحة 404).

المطلب الثاني – تعريف جائحة كورونا كوفيد–19:

جائحة كوفيد–19 أو كما تعرف أيضا باسم جائحة كورونا والجائحة هي الشدة التي تجتاح المال في فتنة أو غيرها، ويقال: جاحته الجائحة وأجاحته بمعنى أهلكه بالجائحة. (خروبي، 2021، صفحة 546) وهي جائحة عالمية مستمرة حاليا لمرض فيروس كورونا 2019(كوفيد –19) سببها فيروس كورونا المرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة (سارس– كوف–2)، (موساوي و شتوان ، 2021، صفحة 163) تفشى المرض للمرة الأولى في مدينة ووهان الصينية في اوائل شهر ديسمبر عام 2019، وأعلنت منظمة الصحة العالمية رسميا أن الفيروس يتفشى بشكل كبير، وهو يشكل حالة طوارئ تهدد العالم وتبث على القلق الدولي (www.un.org/coronavirus) ، وقد أبلغ عن أكثر من 149 مليون إصابة بكوفيد –19 في أكثر من

188دولة حتى تاريخ 27يوليو 2021، تتضمن أكثر من 4170000 حالة وفاة، في المقابل تعافى أكثر من مليون مصاب. (الزبيدي، 2021، صفحة 449)

وينتقل الفيروس بالدرجة الأولى عند المخالطة اللصيقة بين الأفراد، وغالبا عبر الرذاذ والقطيرات التنفسية الناتجة عن السعال والعطس أو التحدث، وعادة ما تسقط قطرات على الأرض أو على الأسطح دون أن تنتقل عبر الهواء لمسافات طويلة، وفي بعض الأحيان قد يصاب الأفراد نتيجة لمس العينين أو الفم أو الأنف بعد لمس سطح ملوث بالفيروس، وتبلغ قابلية العدوة ذروتها خلال الأيا الثلاثة الأولى بعد ظهور الأعراض، مع إمكانية انتقال المرض قبل ظهورها للآخرين (منظمة الصحة العالمية سؤال وجواب، 2021).

وتتضمن الأعراض الشائعة للمرض الحمى والسعال وافعياء، وضيق في التنفس وفقدان لحاستي الشم والتذوق، وقد يتفاقم الوضع تكون بداية الأعراض من يومين حتى 14 يوما بمعدل وسطي يبلغ خمسة أيام، أما عن العلاج فلا يجد لحد الآن علاج نهائي له، وفي المقابل يتم اخذ اللقاح وأخذ التدابير الوقائية المتمثلة في النظافة، وغسل اليدين وتغطية الفم عند السعال أو العطس بالمرفق أو بمنديل، والمحافظة على المسافة الكافية بين الأفراد، وارتداء أقنعة الوجه الطبية (الكمامات) في الأماكن العامة مع عزل الأشخاص المصابين. (منظمة الصحة العالمية سؤال وجواب، 2021)

وكل هذه التدابيير والإجراءات قد دعى إليها الرسول صلى الله عليه وسلم في طبه النبوي الشريف، وسنستشف ذلك من خلال الأحاديث النبوية الصحيحة التي تعلم الناس الوقاية من الأوبئة والطواعين والأحديث المتعلقة بالعدوى، والحجر الصحي الذي دعلى إليه نبينا الكريم لتفادي تفشي الوباء.

المطلب الثالث: أدبيات الطاعون

1.تعريف الطاعون

يُعرَّف الطاعون على أنه نوع من الوباء، قال صاحب الصحاح، هو عند أهل الطب، ورمٌ ردئٌ قتّال، يخرج معه تلهب شديد مؤلم جدا، يتجاوز المقدار في ذلك، ويصبح ما حوله في الأكثر أسودا وأخضرا وأكمد، ويؤول أمره إلى التقرح سريعا، وفي الأغلب يحدث في ثلاث مواضع، الإبط، خلف الأذن والأرنبة وكذا في اللحوم الرخوية، وهو معدي ويحدث عن طريق البراغيث المحملة بالمكروبات من الفئران، وغالبا ما يلدغ البرغوث الساق، الذراع، ثم الوجه، وهذا الطاعون يدعى بالدمل ويكون في الأوردة وتحت الإبط، أو الرقبة.

و الطاعون مرض جرثومي معدٍ ينتشر في شكل وباء، وباللغة اللاتينية pestis atra، فـــ pastisتعني آفة والكلمة ككل تعني الموت الأسود. (علامة، 2015، الصفحات 209-210)

وقد أثر عن عائشة أنها قالت للنبي (ص): الطعن قد عرفناه، فما الطاعون:" شهادة لأمتي ووخزُ أعدائكم من الجن، غدة كغدة الإبل، تخرج بالآباط والمَرَاق، من مات فيه مات شهيدا، ومن أقام فيه كالمرابط في سبيل الله، ومن فرّ منه كالفار من الزحف. (الألباني، 2004، صفحة 425)

وحسب تعريف ابن هيدور صاحب رسالة " ماهية الأمراض الوبائية" للطاعون يقول عنه: " إن الأمراض المفاجئة التي تأخذ فجأة وبغتة كثيرة، وأما الشامل منها هو المرض الوبائي..." (البزاز ، 1992م، صفحة 390) وهذا التعريف يحيلنا إلى الطاعون بحد ذاته، وأن كلمة الوباء التي استعملها ابن هيدور مرادفة لكلمة الطاعون .

وقد أورد تفسير لأسباب وقوعه وربطها بالظروف الفلكية والمناخية، إذ أن تأثير المناخ والكواكب هو أمر بديهي ذهب إليه الأطباء والمنجمين منذ زمن أبقراط؛ وقد استشهد بهذا ابن هيدور.

والطاعون قديم قدم البشرية، وكان سببا في حصد ملايين الأرواح في مختلف الأصقاع، كما كان سببا في ظهور أوبئة مدمرة، ولايزال يحصد الكثير من الناس على مر الأزمنة والعصور (خياطي، د،ت، صفحة 19).

2.أنواع الطواعين

للطاعون عدّة أنواع يمكن أن نعددها فيمايلي:

1–الطاعون الدملي (peste Bubonique): (بقرار، 2020)

هو نوع من الطواعين الذي يظهر فيه على شكل دمل، والدُّمَّل: واحد دماميل القُرُوح، هي الخُراجُ على التفاؤل بالصَّلاح، والجمع دماميل نادرٌ، ودَمل جُرحه، واندُمل برئ والتحم وتماثل، للمزيد أنظر: (ابن منظور، صفحة 1425)؛ وهو قروح وجراح (ابن منظور، صفحة 1425) تظهرعلى مستوى ثنايا الفخذين والإبطين، تؤدي إلى تضخم الغدد الليمفاوية، وعادة ما ينتقل هذا النوع من شخص لآخر، وقد يتعرض أصحابه للوفاة بنسبة 80%من الحالات المصابة (أرنولد، 2013، صفحة 205).

2–الطاعون الرئوي peste pulmonaire (علامة، 2015، صفحة 210)

وهذا النوع يصاحبه إلتهاب رئوي، وهو أيضا ينتشر عن طريق العدوى بشكل كبير، وهو من الطواعين القاتلة فتقريبا جميع الحلات المصلبة به تموت، وذلك لأن المصاب به لا يتعدى اليومين أو ثلاثة أيام من إصابته ثم يموت (أرنولد، 2013، صفحة 205).

3–الطاعون الأسود:

وهو أخطر أنواع الطواعين، ويكون على الشكل الإنتائي، ويمكن أن يسبب النزيف ونخر الأنسجة التي يحول لونها إلى الأسود؛ ويؤدي إلى الموت العاجل (بوطي، 2021، صفحة 220)

–إن أمراض الطاعون السريرية تظهر على الإنسان بأشكال مختلفة، فترتفع درجة حرارة المصاب، وتبدأ حالته الصحية في التدهور من السيئ إلى الأسوء (خياطي، د،ت، صفحة 21).

والأطباء قالوا إذا وقع الخراج في اللحوم الرخوية والمغابن وخلف الأذن والأرنبة، وكان من جنس فاسد سميّ الطاعون، وسببه دم ردئ مائل إلى العفونة والفساد، مستحيل إلى جوهر فيفسد العضو وربما رشح دما وصديدا، ويؤثر على القلب فيحدث القيء والخفقان والغشي، وهو الحادث في اللحم الغددي؛ وأردء أنواع الطواعين ما حدث في الإبط وخلف الأذن باعتبارها عضو قريب من الرأس (العربي، 2021، صفحة 51) وهو متفاوت في الخطورة أسلمه الأحمر فالأصفر فالأسود، وهذا الأخير لا يفلت منه أحد وسببه مادة سمية يهيج بسببها الدم فينصب في عضو أو غير ذلك (العسقلاني، د،ت ، صفحة 105)

والفرق بين الوباء أن كل طاعون هو وباء، وليس كل وباء طاعوناً، فالطواعين خراجات وقروح وأورام رديئة حادثة في أماكن معينة كالإبط وخلف الأذن، والمناطق الرخوية من الجسم. بينما الوباء هو كل مرض مفاجئ وعام سريع الإنتشار، وبذلك يصبح الطاعون مرادف للوباء لكثرة الموت (العسقلاني، د،ت ، صفحة 104) .

وبالنسبة للقروحات والأورام والخراجات فهي آثار الطاعون، وليست الطاعون نفسه، لأن الأطباء لما لم يدركوا منه إلا الأثر الظاهر جعلوه نفسه الطاعون.

3–أسباب الطاعون

إن السبب الغالب للطاعون هو فساد الهواءبكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة، وبفساد الهواء الذي هو غذاء الروح الحيواني يسري الفساد إلى الأمزجة والأبدان (جسام ، 2012، صفحة 466) لقد بينت السنة النبوية الأسباب التي يكون عليها الطاعون، وورد في الحديث الصحيح أنه بقية رجز أرسل على بني إسرائيل، وورد في موضع أخر على أنه وخز الجن (العسقلاني، د،ت ، صفحة 107).

وجاء في حديث آخر أنه دعوة نبيّ على قومه. (الذهبي، 1990م، صفحة 31)، ومن الاعجاز العلمي في الحديث النبوي؛ أن بعض الأحداث الكونية مرتبطة بعمل الناس وما كسبت أيديهم، ولعل من هذا القبيل ما جاء عن عبد الله بن عمر قال: " أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِيْن، خَمْسٌ إذا ابتُلِيْتُم بِهِنَّ وأَعُوذُ باللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرْ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطٌّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، والأَوْجَاعُ التِي لَمْ تَكُن مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِم الذِيْنَ مَضَوْ، ولَمْ يَنقُصُوا المِكْيَالَ والمِيزَان إِلَّا آخِذوا بالسِّنِيْنِ وشِدّة المئونة وجُورِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِم.ولَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِم إِلَّا مُنِعوا القَطر مِنَ السَّمَاء ولَوْلَا البَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا.ولم يَنقُضُوا عَهْد الله وعَهْدَ رَسُولِهِ

إلا سَلَّطَ عَلَيْهِم عَدُوٌّ مِن غَيْرِهِم فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِم، ومَالَمْ تَحْكُم أَئِمَّتُهُم بِكِتَابِ اللهِ ويَتَخَيَّرُوا مِمَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ". (إبن ماجة ، 2007، صفحة 1467) (البوصري، 1998م، صفحة 70)

وحديث محمد بن عبد الله بن نمير، قال حدثنا أبي، حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر، عن عامر بن سعد ، عن أسامة ؛ قال: قال رسول الله:" إِنَّ هَذَا الطّاعُونَ رِجْزٌ سُلّطَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُم، أَوْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ، فَلَا تَدْخُلُوهَا". (مسلم بن الحجاج، 2006، صفحة 1055)

كما توجد أسباب طبيعية ينجم عنها هذا الدّاء، وفأورد العلماء و الأطباء أسبابا طبيعية ومناخية لطاعون، ففساد الهواء يُعدُّ سببا من أسباب العلّة الفاعلة للطاعون (البزاز ، 1992م، صفحة 390)، وأن فساد جوهره الموجب لحدوث الوباء، وفساده يكون بتحول جوهره إلى الرداءة لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه كالعفونة والنتن والسُّمِّية، في أي وقت من أوقات السنة، وإن كان أكثر حدوثه في أواخر الصيف وفي الخريف غالبا. (الصحاري، 2015، صفحة 487)

كما أن كثرت الفضلات الحادثة في فصل الصيف، وعدم تحللها في آخره يكون سببا وجيها يمكن أن ينجم عنه الطواعين.

وأما فصل الخريف وحدوث هذا الداء راجع لبرودة الجو ورداءة الأبخرة والفضلات التي كانت تتحلل في فصل الصيف، فتتحصر وتسخن وتتعفن، فينتج عنها الأمراض العفنة وخاصة إذا وجدت البدن مستعدا رهيلا قليل الحركة، كثير المواد، فهو الأكثر عُرضة للتلف والعطب. (الذهبي، 1990م، صفحة 32)

وقال أبقراط عن حدوث الطاعون في الخريف أشده ضراً من أي فصل آخر فقال: إن في الخريف أشدّ ما يكون الأمراض وأقتل، أما الربيع، فأصح الأوقات كلها وأقلها موتاً. فمتى امتد الخريف والصيف أي زادت طبيعتهما هاجت الأمراض (الرازي ، 2000، صفحة 342).

وقال الرازي: إذا وقع الوباء في الربيع كان أردأ داء، لأن هواء الربيع أوفق للحيوان بالاستنشاق، فإذا فسد كان فساده أكثر، وكما أن الماء لا يعفُن في حال بساطته، بل عندما يُخالط أجسام أرضية خبيثة تمتزج به، فتُردئه، كذلك الهواء لا يعفن في حال بساطته، بل جرّاء مخالطة أبخرة تفسد جوهره فيصبح رديئاً، وربما يكون بسبب العفونات في باطن الأرض فتفسد الماء والهواء (الصحاري، 2015، صفحة 487).

كما يمكن أن يكون مبدأ التغيرات هيئات من الفلك توجبه إيجابا لا نشعر به نحن بوجهه، والسبب الأول البعيد أشكال سماوية، والقريب من الأرض، وإذا أوجبت القوُوى الفعالة السماوية والقُوة المنفعلة ترطيبا شديدا للهواء برفع أبخرةٍ وأدخنة إليه وبئها فيه، وتعفنها بحرارة ضعيفة، وصار الهواء بهذه المنزلة، ووصل إلى القلب فيفسد مزاج

الروح، وعفّن ما به من رطوبة فتحدث حرارة خارجة عن الطبع وتنتشر في البدن فتكون الحمى الوبائية، وعمت خلقا من الناس لهم في أنفسهم خاصية استعداد وخصوصا الأبدان الضعيفة، والواسعة المسام؛ كثيرة الرطوبة جرّاء الاستحمام. (الصحاري، 2015، صفحة 487).

4- طرق العلاج والاحتراز من الأوبئة والطواعين

ذكر في الصحيحين: عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه: أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد : ماذا سمعت من رسول الله (ص) في الطاعون؟، فقال أسامة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الطَاعُون رِجزٌ أُرْسِل على طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إسْرَائِيل وَعَلى مَنْ قَبْلِكم، فَإذَا سَمِعْتُمْ بِهِ، بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَإذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُم بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارَا مِنْهُ". (مسلم بن الحجاج، 2006، صفحة 1054)

إنَّ الطاعون يكثر في الوباء وفي البلاد التي يقع بها الحروب؛ لذلك قيل عنه الوباء أي الوباء يعادل الطاعون، ويُقال أنه كل مرض يعم، فيكثر انتشاره ويودي بحياة الكثير من البشر، وعن الحمى الوبائية فيكون علاجها بالفصد والإسهال، بحسب المادة ويجب أن تُبرد بيوتهم وتُصلح أهويتها، فأما تبريد بيوتهم يكون ذلك بأن تُحفّ بالرياحين الباردة وأن ترش مرارا بالماء البارد، ويستحسن الرش بماء الورد، ويعتبر الخل كذلك إذا خلط بالماء جيد، واستعمال الماء نافع جدا، غير أن الماء القليل المتتابع ربما يهيج الحرارة فإن حصل بَرد في الأطراف، وسهر وارتفاع الصّدر ونزوله، فلابد من جلب الحرارة إلى الخارج والغداء الجيد (الصحاري، 2015، صفحة 487) .

بالنسب لإصلاح الهواء يكون إما بتطييبه ومنع عفونته باستعمال العود والعنبر والمسك والقسط الحلو والبخور، ويرش البيت بالخل المذاب فيه الصندل وهذا للأصحاء، أما الهواء الذي به المرضى فيبخر بالصندل، والكافور وقشور الرّمان والآس والتفاح والسفرجل (بلعربي، 2021، صفحة 25).

-أما التحرّز من فساد الهواء فيكون باخراج الرطوبات العفنة عن البدن وجوبا، ويُصال التدبير إلى التخفيف من كل وجه إلا الرياضة فيجب تركها هي والإستحمام لأنه يفتح مسام البدن فيصبح المرء عرضة للمرض (بلجة ، 2020، صفحة 158).

وعن طريق الغذاء فيكون بتناول القليل من الحموضة ومما ينفع منه الترياق. (الصحاري، 2015، صفحة 488)، ومن رحمة الله بعباده أنه جعل الشهادة لكل من أصابه الطاعون، وصبر عليه فعن حفصة بنت سيرين قالت: قال أنس بن مالك: قال رسول الله(ص): " الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِ مُسْلِمٍ." وعن جابر بن عبد الله؛ قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: الفَارُ مِنَ الطَاعُونِ كَالفَارِ مِنَ الزَّحْفِ، والصَابِرُ فِيهِ كَالصَابِرِ .في الزَّحْفِ

(العيادي، 2020، صفحة 35)، عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فأخبرها أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، وليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له إلا كان مثل أجر الشهيد. (البخاري، 2002م، صفحة 1452)

المبحث الثاني: التأصيل الشرعي للأمراض والأوبئة

المطلب الأول: العدوى في السنة النبوية

نبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قواعد في الطب الوقائي غرضها الحذر من أسباب ومسببات المرض، والوقاية منه، منها قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم:"لايُورِدُ مُمْرض على مُصِحّ". (مسلم بن الحجاج، 2006، صفحة 1058) والممرض في المعجم هو الذي إبله او ماشيته مرضت؛ فلا يورد على صاحب الماشية الصحيحة؛ فلعل الصحيحة لو مرضت بقدر الله تحرك في نفس صاحبها أنها بسبب العدوى، أما المصح فهو الذي إبله أو ماشيته صِحاح، وقد قال عليه الصلاة والسلام "لاعدوى ولا طيرة" ولا عدوى يقصد بها أنه لا يوجد شيء يعدي شيأ بطبعه؛ إنما هو بتقدير الله عز وجل (المقديسي، 1989، صفحة 88).

وعن ابن عطية أن رسول الله قال: "لاعدوى ولا هام ولا صفر، ولا يحلل المُمرض على المصح، وليحلل المصح حيث شاء، فقالوا: يارسول الله، وماذاك؟ قال: إنه أذى" والهامة أن العرب كانوا يعتقدون أنها عظام الميت وقيل روحه؛ تنقلب إلى طائر من طير الليل وصفر دوديكون في البطن وربما قتلت صاحبها، وكانت العرب تراها أعدى من الجرب (المقديسي، 1989، صفحة 88)

وعن الشريد بن سويد رضي الله عنه قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي إرجع فقد بايعناك" (الداية، 1990م، صفحة 197) وهناك حديث أخر يقول فيه صلى الله عليه وسلم:" لاتديموا النظر إلى المجذومين"، وقال ابن قتيبة في ذلك إنه قد يتأذى من قارب المجذوم بالرائحة لا بالعدوى، وقيل إن الرائحة أحد أسباب العدوى وكلّ ذلك بقدر الله تعالى (الذهبي، 1990م، الصفحات 242–244).

والجذام علة تُعَفِّن الأعضاء وتشنجها وتقرّحها، وكما تبح الصوت وتمرّط الشعر، ويسبب تساقط اللحم؛ واهتراء الأصابع وتقطعها (الذهبي، 1990م، صفحة 242)

عن أسامة رضي الله عنه قال إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص، سمعت أسامة يحدث سعدا عن النبي قال:" إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها"؛ وفي رواية أخرى قد رواها كلا

من عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأسامة بن زيد أن هذا الوجع أوالسقم رجز عذب به بعض الأمم السابقة أو طائفة من بني إسرائيل ثم بقي بعدها بالأرض، فيذهب مرة ويأتي مرة أخرى. (الألباني، 2004، صفحة 422) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لاعدوى لا صفر ولا غُول"، وهذه الأحاديث النبوية كلها تأمر بالوقاية من عدوى المرض، وضرورة الوقاية تكون بالأخذ بالأسباب، والتداوي والإيمان بقضاء الله وقدره، فالله سبحانه وتعالى أقام الكون على سنن ونواميس وأسباب، وأمرنا بالتأمل والتدبر في خلقه، والأخذ بالأسباب ومن ثمة التوكل عليه وحده، فمنه وإليه يرجع الخلق كله.

وقد رفع الله تعالى مكانة العلماء وجعلها في أعلى الرتب، فقال تعالى:{ يَرْفَعُ الله الذِينَ آمَنُوا مِنْكُم والذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَات} (سورة المجادلة ، صفحة الآية 11)كون أن العلم يدعوا للإيمان قال تعالى :{ إِنَّمَا يَخْشَى الله مِن عِبَادِهِ العُلَمَاءُ} (سورة فاطر، صفحة الآية28) بل إنه جعهم ورثة الأنبياء، وليس هناك أنبل منزلة بعد النبوبة من الطب.

وكل هذه التدابيير والإجراءات؛ قد دعى إليها الرسول صلى الله عليه وسلم في طبه النبوي الشريف، وسنستشف ذلك من خلال الأحاديث النبوية الصحيحة التي تعلم الناس الوقاية من الأوبئة والطواعين؛ والأحديث المتعلقة بالعدوى والحجر الصحي الذي دعى إليه نبينا الكريم لتفادي تفشي الوباء.

المطلب الثاني: الحجر الصحي في الشريعة الإسلامية

إن أول من أشار إلى الحجر الصحي قبل أن تعرفه البشرية، هو الدين الإسلامي وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أحديث عديدة تبرز ذلك، فعن الرسول(ص) قال" لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلى مُصِحٍّ " (مسلم بن الحجاج، 2006، صفحة 1058). ومعنى الحديث أنه لا يجوز أن يختلط المريض بالأصحاء حتى لا تحدث العدوى.

ويقول عليه الصلاة والسلام في حديث أخر "أَنَّ مِنَ القَرَف التَلَف" والقرف هو المخالطة، ومقارفة المريض مخالطته، والتلف هو الهلاك أي أن مخالطة المريض ينجم عنها الهلاك والإصابة بالعدوى.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم دائما قدوتنا، وله في الحجر الصحي، وتجنب العدوى قصص فقد روي عنه أنه قدم عليه رجل مجذوم ليبايعه، ولما إستأذن منه بالدخول عليه، قال له الرسول من بعيد :"أَبْلِغُوهُ أَنَّا قَدْ بَايَعْنَاهُ فَلْيَرْجِعْ"، وقال أيضا "إِجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ المَجْذُومِ قَدْرَ رُمْحٍ أو رُمْحَيْنِ". (ابن قيم الجوزية، 1998، صفحة 135)

وعن الرسول صلى الله عليه وسلم قال نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم أثناء السماع بوباء في أرض ما أن لا ندخلها، كما نهى عن الخروج من البلد الذي به الوباء ونحن به، وفي ذلك حكمة، فالدخول لأرض موبئة، فيه تعريض للبلاء في محل سلطانه، وإعانة الإنسان على نفسه وهذا مخالف لشّرع والعقل.

وتجنبه الدخول إلى هذه الأرض إنما من باب الحمية التي أرشدنا الله تعالى إليها، والمتمثلة في الحمية من الأماكن، والأهوية المؤذية لما فيها من محافظة على أرواح البشرية؛ نزولا ند أمره عزّ وجل "ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة" (سورة البقرة ، صفحة الآية 195).

أما عن نهيه صلى الله عليه وسلم في الخروج من بلده، ففيه معنيين: أولهما حمل النفوس على الثقة بالله؛ والتوكل عليه والصبر على قضاءه وقدره والرضا به، وفي ذلك دليل على صدق الإيمان، وعدم الجزع مما قدره الله تعالى، كما يدل على إختبار الله لصبر عباده بعد إبتلائهم، ومن هنا يبرز المسلم المؤمن بقضاء الله وقدره وتثبت عليه قوله تعالى:" الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّ لله وإنَّ إليه رَاجِعُون" (سورة البقرة ، صفحة الآية 156).

وأما ثانيهما: ما قاله أفذاذ الأطباء، وأنه يجب على كل محترز من الوباء أن يخرج من بدنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغداء، ويميل إلى تدابير الوقاية إلا الرياضة والحمام، فإنهما يجب أن يُحذَرا لأن البدن لا يخلو غالبا من فضل ردئ كامن فيه فتثيره الرياضة والحمام، فوجب عند وقوع الطاعون إلتزام السكون والدّعة وتسكين هيجان الأخلاط، ولا يمكن الخروج من أرض الوباء والسفر منها إلا بحركة شديدة، وهذه الحركة مضرّة في وقت الوباء، غير أن هذا لا يعني أن يُحبس المسافر عن سفره، أو يترك الناس الحركة ويصيرون بمنزلة الجمادات، وإنما المغزى من هذا الإجراء التقليل من الحركة قدر الإمكان، فكما في الشريعة جوازات وأولويات في أوقات الجوائح كالوباء فبالنسبة للتاجر والصُناع والأجراء وغيرهم، فلا يقال لهم أتركوا أعمالكم التي في غالبها تتطلب والسفر والتنقل، وإنما يتركون ما لا حاجة لهم إليه لتفادي التنقل والتقليل من الحركة . (ابن قيم الجوزية، 1998، صفحة 40).

والحكمة من منع الدخول إلى الأرض التي وقع بها الوباء هي كالآتي:

1- فيها تجنب الأسباب المؤذية والبعد عنها.

2- الأخذ بالعافية التي هي مادة وأساس المعاش والمعاد.

3- أن يستنشقوا الهواء الذي قد عفن وفسد فيمرضون

4- أن لا يجاوروا المرضى الذين قد أصيبوا بالوباء، فيحصل لهم بمجاورتهم لهم ما حلّ بهم من وباء.

قال أبي داود:" إن من العرَقِ التلف"، وقال إبن قتيبة العرَق مداناة الوباء على من تطير بها (الأشعت، 2009، صفحة 67).

5- حمية النفس من الطيرة والعدوى، فإنها تتأثر بهما فإن الطيرة على من تطير بها.

الأمر بالحذر والحمية، والنهي من التعرض لأسباب التلف، وفي النهي عن الفرار منه، الأمر بالتوكل والتسليم والتفويض الأمر لله تعالى فهو الواحد القادر على رفع الوباء، وذلك بالتضرع له بالدعاء وطلب الشفاء منه فهو بيده ملكوت كل شيء؛ يكون بذلك الدرس الأول تعليم وتدريب والثاني تفويض وتسليم.

وبهذا يكون الرسول(ص) أول من طبق مبدأ الإحتراز من العدوى وخصوصا الأمراض المعدية كالأوبئة والطواعين، ورسم للمسلمين تعاليم وإجراءات يجب توخيها، لاجتناب الإصابة بالعدوى وكان بذلك أول من وضع الأسس الأولى للحجر الصحي.

وقد اهتم المسلمون فيما بعد بالطب الوقائي، اهتماما بالغ الأهمية إلى حد وضع كتب تهتم بكيفية الحفاظ على الصحة، عن طريق الحفاظ على نظافة المحيط وسبل التغذية السليمة، وممارسة الرياضة للحفاظ على الجسم منها: كتاب تقويم الصحة لابن بطلان وابن الجزار طب المشايخ (الجوادي، 2015، الصفحات 59-60).

وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم فكرة حماية مهنة الطب من المشعوذين وأدعياء الطب في حديث صحيح قوله:" من تطبب و لم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن (الألباني، 1988م، صفحة 1059) والتطبب مفاده عالج وداوى وضامن مسؤول عن خطئه (الجوادي، 2015، صفحة 21).

المطلب الثالث: حكم التداوي

لقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة عن الأمراض والأوبئة، وأن الله ما خلق من داء إلا وجعل له الدواء، وفي ذلك حكمة إلهية نستشفها من وراء هذه الأحاديث، فقد روى مسلم في صحيحه؛ عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال:" لِكُلِ دَاء دَواءٌ؛ فَإِذَا أُصيب دَوَاءُ الدّاء بَرَأ بِإِذْنِ الله عز وجل" (مسلم بن الحجاج، 2006، صفحة 1050).

وفي حديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله:" مَاأَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً." (إبن ماجة ، 2007، صفحة 1272) وقال صلى اله عليه وسلم "لكل داء دواء، فإذا أصيب دَواء الدَّاء برِئ بإذن الله تعالى". (الألباني، 1988م، صفحة 917)وفي مسند الإمام أحمد من حديث زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك، قال: كنت عند النبي(ص)، وجاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله: أَنَتَدَاوَى؟ فقال: نَعَمْ يَاعِبَادَ الله، تَدَاوَوْ، فَإِنَّ الله عز وجل لَمْ يَضَعْ دَاءأ إلا وضع له شفاءأ غير داء واحد، فقالوا: ماهو؟ قال: الهرم."

وفي لفظ:" إن الله لم ينزل داءا إلا أنزل له شفاءه، عَلِمَهُ من عَلِمَه، وجَهِلَهُ من جَهِله" (الألباني، 2004، صفحة 424) وفي المسند من حديث إبن مسعود " إن الله عزّ وجل لم ينزل داءًا إلا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاء، عَلِمَه مَنْ عَلِمَه وجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَه." (الألباني، 1988م، صفحة 974)

وفي المسند والسنن: عن أبي خزامة قال، قلت:" يا رسول الله أَرَأَيْتَ رُقىً نَسْتَرْقِيهَا، وَدَوَاء نَتَدَاوَى بِه، وتُقاة نتّقيها، هل تَرُد منْ قَدَر الله شيئاً. فقال: هي من قَدَرِ الله."

وجواب الرسول عن الرقى والتُّقى، هي من قدر الله، فما خرج شيء عن قدره، بل يُردّ بقدره، وهذا الرد من قدره فلا سبيل إلى الخروج عن قدره بوجه ما؛ وهذا كرد قدر الجوع والعطش والحر والبرد وتكون بأضدادها، وكذلك كرد قدر العدو بالجهاد (إبن قيم الجوزيه، 1998، صفحة 11) .

وعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عاد مريضا فقال:" ألا تدعو له طبيبا؟ قالوا: يارسول الله وأنت تأمرنا بهذا؟ قال: إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل معه دواءٌ". (الألباني، 2004، صفحة 422) .

إن الأحاديث التي أوردناها تبين حثّ النبي صلى الله عليه وسلم، على التداوي وطلب الشفاء من الله تعالى لأنه هو الشافي المعافي، وبيده ملكوت كل شيء، ولايتم الإمتثال لشفاء إلا بالأخذ بالأسباب، والتوكل على المولى عزّ وجل، فلا ينبغي على العبد أن يجعل عجزه توكلاً، ويكون في زمرة من أنكر التداوي: بقولهم إن كان الشفاء قد قُدِّر فالتداوي لايفيد، والمعنى أنه إن كان الشفاء موجود فما الغاية من التداوي.

كما لا ينبغي على العبد أن يجعل توكله عجزًا، فيكون بذلك من طائفة من يقول إن كان المرض حصل بقدر الله، وقدر الله لايُدفع ولا يُرد، جاعلين المرض قدر الله وعلى العبد ألا يعترض على قدر الله وأن يرضوا به، وعلى العبد ألا يُحرك ساكن حيال ذلك.

وهذا القول ينطبق على من لا يباشر سببا من الأسباب في جلب منفعة، أو يدفع بها مضرّة، لأن في نظره المنفعة والمضّرة، إن كانت مقدرتين لم يكن بدّ من وقوعهما، وإن لم تقدر فلا سبيل إلى وقوعهما، بحكم أن المنفعة والمضرة مقدرة ولا دافع ولا سبيل ولا راد للقدر. (ابن قيم الجوزية، 1998، صفحة 14)

وهذا التنظير والقول لا يقوله إلا دافع للحق معاند له، لما في ذلك من خراب الدين والدنيا، وفساد العالم ككل، لأنه ذكر القدر ليدفع حجة المُحِق عليه، وهو ما قام به المشركون الذين ذكرهم الله تعالى بقولهم{ لَوشَاءَ الله مَا أَشْرَكْنَا ولا أَبَاؤُنَا } (سورة الأنعام، صفحة الآية 148)(وفي قوله تعالى :{ لَوشَاء اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِه مِنْ شَيْء نَحْنُ وَلا أَبَاؤُنَا} (سورة النحل، صفحة الآية 35)

وهذا ما قالوه دفعاً منهم لحجة الله عليهم بالرسل.

وقد روي في أثر إسرائيل" أن إبراهيم الخليل قال: يارب: مِمَّن الدّاء؟ قال: مِنِّي، قال: ممن الدواء؟ قال: مني، قال: فما بال الطبيب؟ قال: رجل أُرسل الدواء على يده" (إبن قيم الجوزيه، 1998، صفحة 12).

والحكمة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم" لكل داء دواء"، فيها تقوية لنفس المريض والطبيب؛ فالمريض إذا استشعرت نفسه أن لداءه دواء يُزيله، تعلق قلبه بروح الرجاء، وإذا اضمحل اليأس، وقويت نفسه وروحه وإذا تمّ ذلك، قهرت روح المريض المرض ودفعته وامتثل للشفاء؛ أما الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء، دفعه ذلك إلى طلبه والتفتيش عنه، فلا يرتاح إلا ببلوغ غايته وهي اكتشاف الدواء. (ابن قيم الجوزية، 1998، صفحة 16).

4. الإرشادات والتوصيات النبوية لتفادي العدوى في زمن الأوبئة والطواعين:

لقد حفظ لنا القرآن الكريم والسنة النبوية بإعتبارهما النهج السوي الذي يتبعه كل مسلم، الكثير من الإرشادات والتوصيات التي أقل ما يقال عنها إرشادات طبية في الوقت الراهن، لتفادي والوقاية من الأوبئة والطواعين التي لا يخلوا زمن من الأزمان منها، والتي يمكن أن نجملها فيما يأتي:

قال صلى الله عليبه وسلم:" غَطُوا الإِنَاءَ وأَوْكُوا السِقَاءَ، فإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةٌ يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَايَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهَ غِطَاءٌ، أو سِقَاءٌ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيْهِ مِنْ ذَلِكَ الوَبَاء." (الألباني، 1988م، صفحة 763)

وفي حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم قال:" أطفؤا المصابيح إذا رقدتم، وأغلقوا الأبواب، وأوكوا الأسقية، وخمروا الطعام والشراب– وأحسبه قال: ولو بعود تعرضه عليه". (البخاري، 2002م، صفحة 1467)

وقد أثبت الطب الحديث ما جاء به النبي صلى الله عليه، فهو لا ينطق على الهوى، ويكون بذلك أول مؤطر لقواعد حفظ الصحة بالاحتراز من عدوى الأوبئة والأمراض المعدية.

فقد أثبت العلم أن بعض الأمراض المعدية تسري في مواسم معينة من السنة، ومنها ما يظهر بعد فترات معينة من السنوات، من أمثال ذلك أن الحصبة وشلل الأطفال تكثر في شهر سبتمبر وأكتوبر، ومرض التيفويد يكثر في الصيف، أما الكوليرا فإنها تأخذ دورة كل سبع سنوات، أما الجذري فيكون بعد كل ثلاث سنوات.

وهذا ما يطابق قوله صلى الله عليه وسلم، ويفسر لنا الحديث المذكور أدناه، ويبين لنا أن هناك أوبئة موسمية ولها أوقات معينة، كما لها أسباب وطرق وقاية محددة، ومن بين سبل الوقاية التي ذكرها الرسول الكريم في حديثه الشريف قوله:" اِتَّقُوا الذّر فَإِنَّ فِيْه النَسْمَة". (بن سالم بازمول، د، ت، صفحة 92)

والذر يقصد به الغبار المتناثر في الجو، والذي يحمل بعض الأمراض المعدية الناجمة عن الميكروبات، وهي ما أشار لها بالنسمة، ليأتي فيما بعد العلم ويبرهن صدق قوله وأن بعض الميكروبات تعلق بذرات الغبار

ويحملها الريح، وتكون سببا في العدوى ونقل الأمراض من المريض لشخص سليم. عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَاعَدْوَى وَلَا صَفَرَ ولا غُولَ". (مسلم بن الحجاج، 2006، صفحة 1057) والصفرة فالصفر هو داء يأخذ البطن، والغول فهو جنس من الجن يتعرض للناس في الصحراء ويضلونهم عن الطريق ويخوفونهم فيقال تغولت الغيلان فبادروا بالآذان، والتعوذ باكلمات الله التامات تقي من شرها وشر غيرها (رضا، 1959، صفحة 462).

5.الخاتمة:

إن الإعجاز العلمي والطبي في السنة النبوية يقصد به ما احتوته السنة النبوية من أحاديث تتضمن دلالات على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم، وتضمنت أخبار غيبية تتعلق بجوانب العلم التجريبي، والطبي فكان صلى الله عليه وسلم من السباقين في الإشارة إلى أمور طبية يعجز الإنسان عن معرفتها في ذلك الوقت، بل هناك أمور ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتوصل لها العلماء إلا بعد أشواط من البحث العلمي، وأمور لم يقفوا عليها إلى الآن فقد علم الناس كيف يتعاملون مع الأمراض المعدية، وبين لهم كيفية التعامل مع الأوبئة، والطواعين موضحا كيفية الحجر الصحي للمرضى، وتجنب مخالطة المرضى حفاظا على سلامتهم من الأمراض كما بين حقيقة العدوى، ودعى الناس إلى التداوي وطلب الشفاء من المولى عز وجل فهو الشافي المعافي مع إتباع الإجراءات الوقائية، والصبر على قضاء الله وقدره والتضرع له ليرفع الداء والوباء.

ومن التوصيات:

أوصي الباحثين بالاهتمام بالطب النبوي على وجه الخصوص، كما نطلب من الدول المسلمة بأن تضع قوانين، وتشريعات وإنشاء معاهد ومراكز لدراسة الطب النبوي، فكما لاحظنا أن كل الإجراءات الوقائية، والحجر الصحي وحتى أسباب الأوبئة والطواعين قد كان الطب النبوي السّباق والمؤطر لها، فهل كل هذا الإعجاز العلمي الذي يزخر به طبنا النبوي لا يرقوا إلى جعله ميدانا للبحث، وفرعا من فروع العلوم الطبية والتطبيقية؟.

7. قائمة المراجع:

القرآن الكريم

إبراهيم زيد الكيلاني. (1990). *الأدلة من الكتاب والسنة والواقع على حقيقة المرض وإثبات أسبابه*. المملكة العربية السعودية: جامعة نايف العربية للعلوم الامنية.

ابن منظور. (بلا تاريخ). *لسان العرب*. مصر: دار المعارف.

أبو الحسن القشيري مسلم بن الحجاج. (2006). *صحيح مسلم* (المجلد 2). الرياض: دار طيبة.

أبو الحسن احمد بن فارس ابن زكرياء. (1979). معجم *مقاييس اللغة*. (دار الفكر، المحرر) مصر.

أبو الناصر إسماعيل بن حماد الجوهري الجوهري. (2009). *الصحاح تاج اللغة العربية*. مصر: دار الحديث.

أبو بكر محمد أبن زكريا الرازي . (2000). *الحاوي في الطب*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي. (1990م). *الطب النبوي*. بيروت: دار إحياء العلوم.

أبو محمد عبد الله بن محمد الصحاري. (2015). *الماء أول معجم طبي لغوي في التاريخ*. عمان .

أبي داود سليمان الأشعث. (2009). *سنن أبي داود*. دمشق – الحجاز: دار الرسالة العالمية.

أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. (2002م). *صحيح البخاري*. دمشق–بيروت: دار ابن كثير .

أحمد بن أبي بكر ابن اسماعيل البوصري. (1998م). *إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المساند العشرة* (المجلد 1). الرياض: مكتبة الرشد.

أحمد بن أبي بكر ابن إسماعيل البويصري إبن ماجة . (2007). *سنن ابن ماجة* . عمان: بيت الأفكار الدولية.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. (د،ت). *بذل الماعون في فضل الطاعون*. الرياض: دار العاصمة.

أحمد رضا. (1959). معجم *متن اللغة موسوعة لغوية حديثة*. لبنان: دار مكتبة الحياة.

المختار العيادي. (ماي، 2020). الحجر الصحي للمصابين بأمراض معدية في سياق مكافحة جائحة كورونا المستجد. *مجلة الباحث*.

بطرس البستاني. (1977). *المحيط المحيط*. (مكتبة لبنان، المحرر) لبنان.

بن سالم محمد بن عمر بازمول. (بلا تاريخ). *الإعجاز العلمي في السنة النبوية تعريفه وقواعده*. مكة المكرمة.

جمال بوطي. (30 أكتوبر، 2021). وباء الطاعون الأسود وانعكاساته على المجتمع الجزائري خلال القرنين 14و15م. *مجلة آفاق فكرية*.

حسين بن عبد الله ابن سينا. (1383). *الإشارت و التنبيهات*. القدس: مؤسسة مطبوعات ديني.

خالد بلعربي. (2021). المجاعات والأوبئة وآثارهما على مجتمع المغرب الأوسط في القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14–15م). *المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور* . برلين– ألمانيا: المركز الديمقراطي العربي.

دافيد أرنولد. (2013). *الطب الإمبريالي والمجتمعات المحلية* (المجلد 1). (مصطفى إبراهيم فهمي ، المترجمون) الجيزة، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

شلدون واتس. (2010). *الأوبئة و التاريخ المرض و القوة و الإمبريالية*. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية .

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. (1998). *زاد المعاد في هدي خير العباد* (المجلد 4). بيروت –لبنان: مؤسسة الرسالة.

شمس الدين محمد أبي بكر بن أيوب الزرعي إبن قيم الجوزيه. (1998). *الطب النبوي*. بيروت: دار الفكر.

صليحة علامة. (جانفي، 2015). تاريخ الأوبئة في الجزائر(الطاعون–الجذري–اليفوس–الملاريا). *مجلة القرطاس*.

ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقديسي. (1989). *الطب النبوي*. طنطا: دار الصحابة للتراث.

عادل عباس جسام . (تموز، 2012). الجوائح في الدولة العربية الإسلامية حتى منتصف القرن الرابع الهجري. *مجلة جامعة تكريت للعلوم*.

عبد الرحمن بن خلدون. (2001). *مقدمة بن خلدون*. (دار الفكر، المحرر) لبنان.

عبد القادر بلجة . (2 سبتمبر، 2020). مملكة غرناطة في مواجهة الطاعون في القرن 8هـ/14م. *مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية*.

علي خروبي. (سبتمبر، 2021). الفقه العقدي في التعامل مع الأوبئة–كورونا أنموذجا–. *حوليات جامعة الجزائر*.

فايز الداية. (1990م). *معجم المصطلحات العلمية العربية للكندي والفارابي والخوارزمي وابن سينا والغزالي* (المجلد 1). دمشق: دار الفكر.

قلة موساوي، و نظيرة شتوان . (2021). ظاهرة الأوبئة في الدراسات التاريخية بالجزائر من الطاعون إلى كوفيد 19(ق16–ق21). *الأوبئة عبر العصور*، برج بوعرريج–الجزائر: دار خيال للنشر.

لخضر العربي. (30 أكتوبر، 2021). الأوبئة في الفترة المتأخرة من العصر الوسيط في المغرب الأوسط. *مجلة آفاق فكرية*.

محمد الأمين البزاز . (1992م). *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن والتاسع عشر*. الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية .

محمد الجوادي. (2015). *أفاق الطب الإسلامي رؤية علمية وتاريخ فلسفي*. مصر: دار الكلمة للنشر و التوزيع.

محمد بن إبراهيم بن ساعد الانصاري. (1900). *إرشاد القاصد إلى أسمى المقاصد*. مصر: مطبعة الموسوعات بباب الشعرية.

محمد بن عمر بن سالم بازمول. (د، ت). *الإعجاز العلمي في السنة النبوية تعريفه وقواعده*. مكة المكرمة.

محمد ناصر الدين الألباني. (2004). *سلسلة الأحاديث الصحيحة*. الرياض: مكتبة المعارف.

محمد ناصر الدين الألباني. (صحيح الجامع الصغير وزيارته(الفتح الكبير)). *1988*. لبنان: المكتب الاسلامي .

مصطفى خياطي. (د،ت). *الأوبئة والمجاعات في الجزائر*. منشوراتANEP.

منى عمر سعيد الزبيدي. (26 10، 2021). حكم الالتزام بالإجراءات الطبية المتعلقة بكوفيد 19:دراسة طبية قانونية. *مجلة البحوث العلمية والدراسات الإنسانية*.

منير بقرار. (30 10، 2020). أثر الطاعون الأسود على الوضع الديمغرافي والاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي(مقاربة تاريخية749هـ/1348م). *مجلة آفاق فكرية*.

المواقع الإلكترونية

منظمة الصحة العالمية سؤال وجواب. (13 ماي، 2021). تاريخ الاسترداد 26 11، 2021 www.un.org/coronavirus. (s.d).